87 - ـ فصل : إنما يتباين الناس بنزول البلاء .

من عاش مع ا D طيب النفس في زمن السلامة خفت عليه في زمن البلاء فهناك المحك .

إن الملك D بينا يعطي نقص و بينا يعطي سلب فطيب النفس و الرضى هناك يبين .

فأما من تواصلت لديه النعم فإنه يكون طيب القلب لتواصلها فإذا مسته نفحة من البلاء فبعيد ثيابه .

قال [الحسن البصري] : [كانوا يتساوون في وقت النعم فإذا نزل البلاء تباينوا] .

فالعقل من أعد ذخرا و حصل زادا من العدد للقاء حرب البلاء .

و لا بد من لقاء البلاء و لو لم يكن إلا عند صرعه الموت فإنها إن نزلت و العياذ با فلم تجد معرفة توجب الرضى أو الصبر أخرجت إلى الكفر .

و لقد سمعت بعض من كنت أظن فيه كثرة الخير و هو يقول في ليالي موته : ربي هو ذا يظلمني فلم أزل منزعجا بتحصيل عدة ألقى بها ذلك اليوم .

كيف و قد روى أن الشيطان يقول لأعوانه في تلك الساعة : [عليكم بهذا فإن فاتكم لم تقدروا عليه] .

و أي قلب يثبت عند إمساك النفس و الأخذ بالكظم و نزع النفس و العلم بمفارقة المحبوبات إلى ما لا يدري ما هو و ليس في ظاهره إلا البقر و البلاء .

فنسأل ا D يقينا يقينا شر ذلك اليوم لعلنا نصبر للقضاء أو نرضى به .

و نر غب إلى مالك الأمور في أن يهب لنا من فواضل نعمه على أحبابه حتى يكون لقاؤه أحب إلينا من بقائنا و تفويضنا إلى تقديره أشهى لنا من اختيارنا .

و نعوذ با من اعتقاد الكمال لتدبيرنا حتى إذا انعكس علينا أمر عدنا إلى القدر بالتسخط .

و هذا هو الجهل المحض و الخذلان الصريح أعاذنا ا منه